المبحثالرابع

كيفيةالتعاملمعالفكرالحداثي

نحاول في هذا المبحث معرفة الطريقة الأمثل في التعامل مع الفكر الحداثي، بعد أن تبين لنا أنه فكر موجود قامت عليه الحضارة الغربية الحديثة، رغم أن هناك تغيُّر في هذا الوضع في الغرب مع ظهور فكر(مابعدالحداثة)[١]،أقول رغم ذلك إلا أن فكر الحداثة فكر له وجوده،وله في مجتمعاتنا دعاته، وله آثار كبيرة على كل المستويات. فالسؤال المهم هو: ما هي الطريقة التي يجب أن يتعامل بها المسلمون مع هذا الفكر؟ أنقبل هذا الفكر جملة وتفصيلاً،ونسلِّم لآثاره الحادثة والتي تحدث في مجتمعاتنا؟ أم نرفضه جملة وتفصيلاًبالقول أنهفكر مخالف للإسلام، وأن القائلين به مرتدون أو كفار،وأنه من قبيل الحرب الفكرية الموجهةإلى عالمنا الإسلامي؟ لا أعتقد أن الجواب على السؤال المهم السابق يكونبالرفض المطلق ولا بالقبول المطلق، مع أنني لا أنكر أن في كلا الاتجاهين يوجد شيء من الصواب. ولكن ما أود الإشارة إليه هنا،أن الحكم على مثل هذه الأمور المعقدة بالرفض مطلقاً أو القبول مطلقاً، هو من قبيل تبسيط الأمور والحكم عليها بالجملة، مع أن الواقع لا يقبل ذلك. ومن ناحية أخرى نجد أنتاريخ المسلمين يقول بخلاف ذلك، أي أنه يقول بخلاف فكر الرفض المطلق أو القبول المطلق، بلنجد نظرة وطريقة في التعامل مختلفة كلياً، وذلك أن الفكر الإسلاميانطلق من فكرة التبادل والتفاعل مع الأفكار الأخرى، فقد ((عالجالفلاسفة وعلماء الكلام والعلماء الطبيعيون المسلمون القدماء العديد من المشكلات الخاصة بالكون والطبيعة والإنسان، فيما سميبالطبيعيات،انطلاقاً من صورة العالم في

---

[١]ينظر: الحداثة ومابعد الحداثة، لعبدالوهاب المسيري وفتحي التريكي.

الحضارة الإسلامية. فعالجوا (التطور)، (الخلق)، (السببية)، (أصلالمادة)، (طبيعة الحياة)، (طبيعة النفس)... الخ ونشأت عن معالجة هذه القضايا مناقشات فكرية وفلسفية عميقة شارك فيها علماء الكلام والفلاسفة من كافة الاتجاهات. ولم تكن تلك المناقشات من قبيل الرفاهية، فقدارتكزت عند العلماء الطبيعيين والفلاسفة على محاولة معرفة الطبيعة لأن ذلك واجب في ذاته. وعند علماء الكلام ارتكزت على أنه من الضروري أن تتفق نظرتنا إلى الطبيعية وفهمنا لها مع النظرة الكلية الإسلامية للكون، أو صورة العالم في الدينالإسلامي. أي أن المسلمين القدماء بتوجهاتهم المختلفة قد شاركوا مشاركة فاعلة في تشكيل الفكرالإنساني في ذلك العصر... وبنفس الطريقة ولنفس الأسباب يكون واجباً على المسلمين أن يشاركوا في الفكر الإنساني المعاصر سواء في الفكر العلمي، وهو المقابل للطبيعيات، أو في الفكر الفلسفي المرتبط بالطبيعة وبالمجتمعات الإنسانية))[1]. فالحكم على الأشياء بأنها مخالفة للإسلام،هكذا، بصورة مطلقة، والسكوت عنها، هو أمر سهل، ولكنه في المقابل يتجاهل أمرين مهمين، هما: أولاً: أننا بذلك الحكملانكون قد ألغينا ذلك الفكرمن أرض الواقع، فهو موجود فعلاً. ثانياً: أننا بذلك الحكم نكون قد عزلنا أنفسنا عن العالم الخارجي، ونكون قد انغلقناعلى أنفسنا. فيجب أن يكون المنهج بصورة عامة في تعامل المفكر المسلم مع الأفكار الأخرى، هو منهجالالتقاءوالتبادل والتفاعل فيما هو مشترك وعام، فحتى في الأمور التي لها خصوصيتها في كل فكر هناك أمور إنسانية مشتركة عامة، يجب الالتقاء فيها. وحتى في الأمور التي نختلف فيها، فالأفضل هو مناقشتها مفصلة، وعدم إطلاق أحكام عامة عليها، لأن مناقشتها هو طريق بيان الصواب والخطأ فيها، وهو الأقدر على تغيير الخطأ. ((فالعلاقة بين (الأنا: الحضارية) وبين (الآخر:

---

[1] حدود العقل بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي المعاصر، المهندس سمير أبو زيد،ص٧٣٤، ٧٣٥.

الحضاري)،يجب أن يحكمها هذا القانون.. التفاعل والتبادل الحضاري، لا التبعية- بزعم الوحدة الحضارية – ولاالانغلاق والعزلة – بزعم الاختلاف الكامل والكلي- .... وكما أن(التعارف) -الذي أمرنا الله به ليكون طابع العلاقات بين الأمم والشعوب- يقتضي العدول عن القطيعة، ورفض (الصراع).. فكذلك (الاختلاف) الذي جعله الله سنة ومظهراً للتعددية، يقتضي رفض (التبعية) أو (الهيمنة)،بزعم وحدة الحضارة للبشر أجمعين﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾[١].. ولقد قال المفسرون لقوله تعالى:(ولذلك خلقهم): إن معناها: (وللاختلافخلقهم): ففي الاختلاف والتمايز: التنوع، والغنى، والتنافس في استباق الخيرات))[٢]، ففلسفة الإسلام في الاختلاف هي ضد (النفي والصراع)، هي ضد إلغاء الآخر، ولكنها مع الإيمان بالتعددية. وإذا كان الغرب قد اعتمد فلسفة الصراع مع الآخر، فهذا الأمر يكون قد فرض علينا فرضاً، وإلا فهو لايمثل رأي الإسلام في الاختلاف مع الآخرين، ((فهو كالقتال الذي فرض علينا وهو كره لنا: وعسى أن تكون الثمرة، ثمرة هذا الصراع الذي فرض علينا، شحذ الهمة في معركة التجديد للفكر الإسلامي، إخراجاً له من أزمته المعاصرة، وتجديداً لواقع الأمة به، لا لنفي (الآخر الحضاري)، وإنما لنقسره غداً، كما قسره أسلافنا بالأمس، على التخلي عن طموح الهيمنة الحضارية، وعلى القبول بالتعددية، ليصبح الكوكب الذي نعيشعليه(منتدى حضارات)، تتفاعل وتتبادل العلم النافع، وتحتفظ كل منها بما لها من خصوصيات... مثلها كمثل الإنسان الراشد المستقل، يصافح الجميع، دون أن يفقد بصمته وهويته التي تميزه عن الجميع))[٣].على الأقل

---

[١] سورة هود الآية ١١٨، ١١٩.

[٢] أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، ص ٤٢.

[٣]المصدر السابق، ص٤٥.

هذا ما نتمناه، ولكن الذي يجري على أرض الواقع هو أن المسلمين منقسمون فكرياً في التعامل مع الأفكار الوافدة إلى ثلاثة أقسام بشكل عام، وهي:

أولاً: تيار التقليد والمحاكاة للموروث (الجمود): وهو فكر ينطلق عادة من عصور التراجع لحضارتناالإسلامية، العصور التي ((توقف فيها الاجتهاد في الفقه، وتوقفالإبداع في العلم، والأصالة في الأدب، والابتكار في الصناعة، والافتتان في الحرب وغيرها... وضربت الحياة بالجمود والتقليد في كل شيء، وأصبح المثل السائر الذي يعبر عن وجهة النظر السائدة، (ماترك الأول للآخر شيئاً)!))[١]. فما زال بيننا من أتباع تلك العصور. فهم يحكمون على كل جديد بأنه ليس من الإسلام،حتى أن بعضهم ليحكم بذلك بدون أن يكون له تصور عن الأمر المحكوم عليه. بل يحكم بذلك فقط لأنه جديد، أو فقط لأنه من الغرب، حتى وإن كان فيه شيء من الصواب، فهو ((كالذي يسمع من نصراني قوله: (لا إله إلا الله، عيسى رسول الله)، فينكره))[٢].

ثانياً: تيار المحاكاة والتقليد للوافد الغربي(التغريب): وهذا التيار تيار قديم تعود بداياته مع الحملة الفرنسية على مصر عام (١٧٩٨م)، ومن أوائل من دعا إليه (المعلم يعقوب)، وهو رجل قبطي مصري ولد عام (١٧٤٥م)،وتوفي عام (١٨٠١م)، وكان قد التحق بالجيش الفرنسي وأصبح جنرالاً فيه، وقد تبرأت منه الكنيسة المصرية[٣].وأوضح قول يعبر عن هذا الاتجاه هو قول لأحد دعاته، وهو (سلامة موسى)[٤]،حينقال في مقدمة كتابه (اليوم والغد): ((كلماازددت خبرة

---

[١]الخصائص العامة للإسلام، ص٢٥٧.

[٢]المنقذ من الضلال، ص٧.

[٣]ينظر: أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، ص ٦٣.

[٤]سلامة موسى، ولد عام (١٨٨٧م) وتوفي عام (١٩٥٨م)،وهو كاتب قبطي مصري، ولد في قرية كفر العفي قرب الزقازيق، وتعلم في الزقازيق وفي باريس ولندن، ودعاإلى الفرعونية، وإلى الكتابة

وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضي في الأدب كما أزاوله. فهي تتلخص في أنه يجب علينا أن نخرج من آسيا وأن نلحقبأوربا. فإني كلما زادت معرفتيبالشرق زادت كراهيتي له و شعوري بأنه غريب عني. وكلما زادت معرفتيبأوربا زاد حبي لها وتعلقي بها، وزاد شعوري بأنها مني وأنامنها. هذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي سراً وجهرة فأنا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب.))[١].

ثالثاً: تيارالإحياء والتجديد: وهو التيار الذي يسمى أيضاً(الوسطية)، وهو تيار عريض، وتوجد به اتجاهات كثيرة متمايزة في ميادين اهتمامها، وفي حظها من التجديد، وفي مقاييس التجديد لديها[٢].

فنجدأن تيار (الجمود) لا يقبل بالحداثة مطلقاًوبجميع أفكارها وأشكالها،ونجد أن تيار(التغريب) يقبل ويتبنى الحداثة مطلقاً،ولاسيماما كان منها موافقاً لهواه التغريبي. أما التيار الوسطي فنجده يميز بين الغث والسمين في الحداثة وفي غيرها من الأفكار، ولا يتبنى الفكر التصادمي مع الآخر أو الذي ينفيالآخر، فالفكرة حتى لو كانت غربية المنشأ، فإنها لا تخلو من صواب، ولا تخلو من الأمور المشتركة، بل يجب أن نبحث عن المساحة المشتركة فيما بيننا، لأن هذه الفكرة- الحداثة- يتبناها ويدعو إليها الآن أناس مسلمون من مجتمعاتنا الإسلامية، والواجب علينا أن نبحث عن الأمور المشتركة فيما بيننا، لأننا إذا هاجمنا فكرة ما مخالفة لأفكارنا بلا تفصيل بين ما يصلح منها وما لا يصلح،نكون قد ظلمنا الشخص المخالف لنا في الرأي، فنحولهإلى عدو، ((فبدلاً من التعايش يكون هناك صراع... خلق الله الأرض لتُعمرَّ، فهدف الخلق إعمار الأرض، فكيف لها أن

بالحرف==اللاتيني، وله كثير من المؤلفات منها: (اليوم والغد) و(حرية الفكر وأبطالها في التأريخ)، و (غاندي والحركة الهندية) وغيرها.ينظر:معجمالأدباءمنالعصرالجاهليحتىسنة ٢٠٠٢م، ٥٦/٣.

[١]الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ٢٢١/٢، ٢٢٢.

[٢]ينظرفيما مر من تيارات ثلاث: أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، من ص٥٨-٧٠.

تعمر إن كان الكل يفكر بفكرةواحدة؟اختلافنا ثراء يؤدي إلى غاية خلق البشر(إعمار الأرض). لكن الخطأ أن نتنازع))[١]. وأحب هناأن أنبه إلى أمر مهم، وهو أنه قد يظن بي أنني أدعو إلى تقبل كل الأفكار التي تطرح،أو بمعنى آخر أنني أدعو للذوبان فكرياً في الأفكار الأخرى، وأنا لا أقول بذلك، ولكنني أعتقد أن المسلم إذا كان متمسكاً بهويتهاالإسلامية، محافظاً عليها، لا يضره أن يتحاور مع الأفكار الأخرى،ويستبين الخطأ والصواب الذي فيها، فيترك الخطأ ويعمل بالصواب. فقد قال صلى الله عليه وسلم: ((الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها))[٢].كما أن معالجة الفكر لا تكون بقمعه، ولكن بمناقشته ومقابلته بفكرٍ متفتح قد يقبل منه أشياء وينكر ويرفض أخرى،معتمداً بذلك على ثوابت الدين ومقاصد الشريعة، لا على أحكام مسبقة.

وعند التعامل مع الفكر الحداثي يجب التمييز بين من يدعو إلى الحداثة الغربية التي ألغت الدين وتدعواإلى عزله عن المجتمع،وبين من يدعو إلى الحداثة إنطلاقاًمن الدين نفسه، فهو لا يدعو إلىإلغاء الدين وإنما يدعوا إلى استلهام بعض مبادئ الحداثة من الدين نفسه، على اعتبار أنها موجودة فيه، على ما يعتقد. وقد أشرنا إلى الاتجاهين في مباحث سابقة، فيجب التميز بينهما، لأن الأول يدعو إلى فكرة مناقضة لفكرة الإسلام، بل مناقضة لفكرة الدين ككل، وهذا أمر متناقض مع عقيدتنا في أصولها، أما الثاني فنشترك معه في أصل العقيدة،وقد نختلففيما هو من الدين وما ليس منه، أو نختلف فيما يصلح وما لا يصلح، وأعتقد أن الفرق شاسع بين الاثنين،فيجب أن نتعامل مع الحداثةانطلاقاًمن هذا التفريق بين الاتجاهين.

---

[١]دعوة للتعايش، عمرو خالد، ص٢٥٠.

[٢]رواهالترمذي وابن ماجه، وقالالترمذي: هذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه، وإبراهيم بن الفضل المخزومي ضعيف في الحديث. ينظر: سنن الترمذي ٥١/٥ رقم الحديث(٢٦٨٧)، وسنن ابن ماجه ١٣٩٥/٢ رقم الحديث (٤١٦٩).

وكذلك نتعامل معها من خلالآثارها الموجودة في مجتمعنا والتي سبق ذكرها، فعندما نلاحظانتشار فكرة فصل الدين عن السياسة،أو الفكرة القائلة بأن الدين عبارة عن أحكام لا علاقة لها بإدارة الدولة وأمور السياسة. فالواجب على مفكري هذه الأمة ودعاتها توعية الناس، وذلك بإيصال أفكار جديدة إليهم غير الأفكار السائدة، لكي تتحول بعد ذلك إلى قناعات ومن ثم إلى سلوك على أرض الواقع. فالحداثيون يقولون في هذا الأمر مثلاً: ((أن أهم خطر يواجه الإسلامالآن يكمن في الدعوة إلى تحويله من عقيدة إلى نظام للحكم (ثابتوأزلي) لم يوجد أبداً، ولن يوجد في المستقبل أيضاً،.... إن الذين يريدون إقامة أنظمة دينية، أنظمة تتطابق فيها السماء مع الأرض، إنما يرتكبون خطأ كبيراً بحق الدين نفسه.... هذا الإسلام الذي يرتبط ببترالأطراف وتعليق الأكف على واجهات المساجد وضرب الأعناق بالسيوف في مهرجانات شعبية.. لا يمكن أن يشكل جوهر الرسالة التي حملها محمد إلى البشرية))[١]. فهؤلاء يأخذونباتجاه (تجزئةالإسلام). ولذلك نجد أن واقع كثير من المسلمين اليوم هو أنه ((مسلم في المسجد يؤدي فرض الله ويقرأ كتاب الله، ولكنه إذاخرج من المسجد تعامل بالربا الذي حرمه الله،... إنه في المسجد ديني، وفي خارج المسجد علماني، يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، يأخذ من القرآن آية الكرسي، يتلوها ويتبرك بها. ولا يأخذ آية المداينة، وكلتاهما في سورة واحدة))[٢]. فالمشكلة اليوم في دعوة الحداثيين إلى أن الإسلام دين لا دولة،هي أن تلك الدعوة قائمة على أرض الواقع في أغلب بلاد المسلمين،ولكن مع ذلك لا يجوز ترك هذه الدعوة تفعل فعلها في تغيير أفكار الناس،فالإنسان المسلم إذا كان يملك تصوراً صحيحاًعنالإسلام، ولكن أفعاله اليومية، وواقعه يخالف ما يعتقد، فإنه سيبقى معتقداً بأنه لا يفعل الأمر الصحيح، وقد يدفعه ذلكإلى تغيير

---

[١]مجلةالناقد، العدد ١٣تموز ١٩٨٩م، ص ١٨،١٩.

[٢] الصحوة الإسلامية، ص٨٥-٨٦.

أفعاله، أو حتى واقعه ليجعلهإسلامياً صحيحاً، أما إذا كان يفعل الأفعال المخالفةللإسلام، ويعيش واقعاً مخالفاً للإسلام، وهو معتقد أن ذلك الأمر لا شائبة فيه، فهذه طامة كبرى، وجهل مركب يصعب التخلص منه. فلهذا يجب على الدعاة أن يبينوا شمولية الإسلام، فرسالة الإسلام ((رسالة امتدت طولاً حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الأمم،وامتدت عمقاً حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة))[1]. وهي رسالة شاملة لجميع أفعال وأحوال الإنسان فهي دين ودولة، ولكن جَعْل هذا الأمر يستقر في أذهان الناس ويكون مقاوماً للأفكار التي تريد إلغاءه، يحتاجإلى جهد كبير، سواء في نشره، أو طريقة إثباته، أو تنقية وتطوير الآراء والأفكار الإسلامية، لتكون قابلة للتطبيق على أرض الواقع، ولكن يجب أن يكون ذلك التطوير أو التجديد فيما يقبل التطوير والتجديد، وليس في الثوابت.

وعندما نجد الحداثيين يدعون إلى الديمقراطية مستغلين ماتعانيه أغلب شعوب العالمالإسلامي من ظلم، وعدم القدرة على التواصل بين المحكوم والحاكم، ويدَّعون – كما ذكرنا سابقاً – أنالإسلام دين غير ديمقراطي ولا يراعي حرية الناس، وهم يستثمرون واقع المسلمين في نشر هذه الدعاوي، وكذلك يستغلون واقع بعض الإسلاميين الذي يعطون صورة سيئة عن الإسلام،وبالتالي تُزرع تلك الأفكار عندكثيرمن أبناء المسلمين،فيجب التعامل مع هذا الأمر ببيان أن الإسلام يؤيد طموح المسلمين إلى حكم يتم التفاعل فيه إيجابياً بين الطبقة الحاكمة وبين الشعب. وبالتالي فهو يؤيد عمود ذلك التفاعل الذي هو (الحرية). فالإسلام الحقيقي إذا حكم فلن يوصد باباً من أبواب الشورى أو الديمقراطية السليمة، ولن يُضيّق السبيل إلى الحرية أبداً. فحتى التكليف في الإسلاملا يستنبت إلا في تربة الحرية،

---

[1] **الخصائص العامة للإسلام، ص ١٠٥.**

ولذلك نجد أنالمكرهلا يكلف. وتأريخالإسلام شاهد على ذلك، فرسول الله ﷺ استقبل نصارى نجران في مسجده وأكرمهم وأصغى إلى أقوالهم، ثم ناقشهم، ثم دعاهم إلى المباهلة فرفضوا، وكانت النتيجة أن تركهم رسول الله ﷺبما يدينون. وفي القرن الثاني الهجري ظهرت الكثير من الفرق، وقد خرج البعض منها عن ربقةالإسلام ووقع في مزالق الكفر، ومنها دون ذلك، ومن تلك الفرقالتي ظهرت، المعتزلة بكل فرقهم التي تزيد على عشرين فرقة، والمرجئة، والخوارج وغيرها، ولكن جمهور أهل السنة والجماعة لم يقمعوا تلكالأفكار، ولكنهم استمعوا إليها، وجادلوها بالتي هي أحسن، تطبيقاً لقوله تعالى:﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[١]. فكيف يُجادَل المبطل إذا أُسكت ولم يسمع رأيه؟![٢] ولكن هذا لا يعني أنه لا يوجد فرق بين النظامين: الإسلامي والغربي، فالشورى مثلاً مصدرها القرآن،والديمقراطيةككلمة مصدرها يوناني،والشورى تنقسم إلى قسمين: شورى سياسية: وهي التي يناط بها أجهزة الحكم واختيار أشخاصها. والذي يبت في ذلك هو الشعب، بتفويض من الله عز وجل، بل بإيجاب منه تعالى. وشورى تشريعية: وهي سعي تعاوني من ذوي الكفاءة العلمية للوصول إلى ما قدخفي من أحكام الشريعة الإسلامية. فالقسم الأول يلتقي مع الديمقراطية الغربية، أما الثاني فلا يلتقي لأنه عبادة[٣].

وفي مجال الأدب يجب التعامل مع الفكر الحداثي من خلال استخدام نفس الأسلوب الذي يستخدمه الحداثيون. فإنهم يدعون إلى الأدب الحديث والشعر الحر والشعر النثري كما أسلفنا، فبغض النظر عن كون ذلك الشعر أو الأدب مقبولاً أو لا من ناحية أدبية، فهذه مسألة أدبية. إلا أن الواقع يقولأنه – أي هذا اللون من

---

[١]سورة النحل آية ١٢٥.

[٢]ينظر: يغالطونكإذ يقولون، من ص١٢٥-١٤١.

[٣]ينظر:الإسلام والغرب، من ص ١٠٣-١١٥.

الشعر– موجود وبقوة، حتى أنه يكاد يكون السمة الغالبة للشعراء المعاصرين، فيجب على دعاة ومفكري الأمة حث الشعراء من ذويالاتجاهالإسلامي على ولوج هذاالميدان وبقوة، من أجل إيصال الأفكار الإسلامية عن طريق هذا الشعر، وكذلك لإيجاد البديل للشعر الذي يحمل أفكاراً مخالفة للإسلام، وعدم ترك الساحةالأدبية لأصحاب الأفكار المخالفة وبعد ذلك نلومهم على نشر أفكارهم من خلاله. بل الأولى أن نلوم أنفسنا لأننا لم نزاحمهم في هذا الميدان، أو على الأقل كانت مشاركتنا ضعيفة،ولم ترقَ إلى مستوى التحدي. ويجب أن أنبه هنا إلى مسألة حذّر منها بعض الباحثين في مسألة الشعر النثري، فهؤلاء الباحثون عندما يتكلمون عن الحداثيين وقصائدهم النثرية يؤكدون على ((أن ادعاءهم بأن هذا اللون شعر، سيتبعه ادعاء خطير جداً، لأن القرآن الكريم له من الإيقاع أكثر مما لهذه القصائد المنثورة، فإذا اعتبرنا هذه المقطوعات شعراً فسوف يأتي من الملاحدة من يقول إن القرآن شعر، وقد يكتب آيات وكلمات من القرآن، بعضها تحت بعض، ثم يحكم أنها كالشعر المنثور))[1]. ورغم ما يبدو للوهلة الأولى من أن هذا القول بعيد عن الواقع، على اعتبار أن القرآن ثابتمنقولبالتواتر، ولا يجرؤ أحدٌ على اعتباره شعراً، إلا أن في القصائد المنثورة لبعض الحداثيين كلامٌ يعطي الرأي السابق شيئاً من الوجاهة. فهم كثيراً ما يستخدمون آيات من القرآن في أشعارهم النثرية، فنجد مثلاً لأدونيس قصيدة قال فيها:

((حمالم

حيث افرغ قلبي من أخبار الغير

أمحو الحدود.....

ولست أنا من ينطبق بها

---

[1]جناية الشعر الحر، أحمد فرج عقيلان، ص٢٥.

بل

حمالم))[١].

ويقول في موضع آخر:

((السلام للفضاء الذي يؤرخ لنا

السلام التي تؤسس للفضاء

ألف لام ميم

ذلك الكتاب

لا ريب لاريب))[٢].

والقصيدة النثرية لا يعترف بها كثير من الأدباء، لا بل إن من شعراء الحداثة من لا يعترف بها. فهذا الشاعر الأمريكي (إليوت) يقول عن هذا الشعر: ((لاأستطيع أن أعرفه إلا بالسلب، غياب النموذج، غياب القافية، غياب الوزن))[٣]هذا في القصيدة النثرية، أما الشعر الحر فإنه لا يخلو من وزن ولكنه لا يلتزم بقافيةواحدة، وعلىكل حال فأنا هنا لا أريد أن أجعل من نفسي أديباًوناقداً للأدب، فأحكم بما هو منه وما هو ليس منه، ولكن الواقع يقول بوجود الشعر الحر، وبوجود الشعر الشعبي الذي يعتمد اللهجات العامية، فهو قريب من الناس، ويستطيع الأدباء المسلمون أن يستثمروا ذلك لصالح دعوتهم، بدلاً من ترك الساحة لمخالفيهم. هذاومن جانب آخر يتبقى على المفكرين والأدباء الإسلاميين التأكيد على نقض فكرة (الأدب للأدب) التي سبق وذكرناها، لأن كثيراً من الحداثيين يستغلها في نشرالأفكار المخالفة للإسلام، وفي التجاوز على المقدسات، بحجة أن الأدب لا يجب أن يقاس بمقياس الشرع. ومثل ذلك يقال في سيطرة الحداثيين على

---

[١]مفرد بصيغة الجمع،أدونيس،ص٢٨.

[٢]الإسلام والحداثة، ٤٢١/٢.

[٣]الصراع بين القديم والجديد، ١٠٤٠/٢

المواقعالإعلامية والأدبية والمهرجانات، فيجب مزاحمتهم في جميع تلك الميادين. ويجب التعامل مع مسألة الدعوةإلىالعامية أيضاً ببرامج تطبق على الأرض في مجال التعليم للغة العربية الفصحى وتيسيرها على أبناء المجتمع الإسلامي.

وعلى صعيد الآثار الفكرية،يجب التعامل معها فكرياً، فقد ذكرنا أنه حصل ويحصل خلط بين ما هو ثابت وما هو متغير من أحكام الإسلام، فيجب مراعاة هذه المسألة من خلال إيضاحها لكافة المسلمين، ومحاولة تضييق الخلاف بين علماء المسلمين في هذه المسألة، ويكون ذلك بيانما هو ثابت وما هو متغير من أحكام الإسلام، وعدم ترك هذه المسائل المهمة لعامة الناس وجُهّالهم،فإنه إذا سكت أهل الحق، نطق أهل الباطل.

ولكن، وفي نفس الوقت يجب التعامل بإيجابية مع الأمور الجيدة والمقبولة للحداثة، مثل دعوتهم إلى إصلاح التعليم الديني في بعض الجوانب كما ذكرنا سابقاً، والدعوةإلى مواكبة العصر من الناحية العلمية والتقنية وما إلى ذلك.

وخلاصة القول أننا يجب أن نتعامل مع الحداثة بشكل تفصيلي،وباهتمام، وبحذر في نفس الوقت، فلا ندعوإلى قبولها جملة وتفصيلاً، ولا إلى رفضها جملة وتفصيلاً. فنحن أمة لها دستور ثابت،وهو: القرآن الكريم، وسنة الرسول ﷺ،فنعرض الأمور عليه،فما وافقه قبلناه بغض النظر عمن صدر منه،وما خالفه رفضناه، أيضاً بغض النظر عمن صدر منه.